

الحلقة الرابعة والخمسون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلماً أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تتعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تأملنا في اللقاء السابق بعدة أمثال تحدثت عن الرحمة والحق أي العدل، كأساس للحكام والملوك. فعلى الحاكم أن يكون رحيماً، وأن يسلك بالعدل تجاه جميع فئات المجتمع. وتبين لنا أيضاً أنه علينا جميعاً أن نكون رحماء وعادلين، وأن نبتعد عن الخطيئة والشر.

هل تفضّل مستمعي الوصول إلى غاياتك أو أهدافك بواسطة الطرق ملتوية؟ أم أنك تتمسك بالطرق المستقيمة؟ فهناك طرق قد تبدو سريعة وسهلة، لكنها ملتوية ومليئة بالكذب والغش والخداع. وفي المقابل هناك طرق مستقيمة شريفة قد تبدو طويلة، لكنها تحفظ كرامة الإنسان.

كتب سليمان الحكيم في هذا المجال عدة أمثال. نبدأها بهذا المثل: **"طريق المذنب معوجة، أي ملتوية. أما تصرف الزكيّ فقويم"** (أمثال ٨:٢١) أي مستقيم. أجل إن طرق الرجل المذنب هي طرق ملتوية. أما الزكيّ فإنه يسعى دائماً لكي يسلك في الطرق المستقيمة. إن الشخص المذنب أو الشرير هو الذي يلجأ إلى الطرق الملتوية المعوجة لكي يحقق أهدافه أو غاياته. وكأنه يضرب بعرض الحائط الكثير من القيم الأخلاقية. بينما الشخص الزكي أي الذي يحافظ على المبادئ والمثل السامية، فهو يحاول السلوك بالطريق المستقيم أو القويم.

لكن ماذا تكون النتيجة يا ترى؟ كتب سليمان الحكيم قائلاً: **"ادخار الكنوز بلسان منافق، دخان متلاشٍ وفخٌ مميت"**. وأيضاً: **"جور الأشرار يجرفهم لرفضهم إجراء العدل"** (أمثال ٦:٢١ و٧) فجمع المال بالطرق الملتوية يكون كالبخار الذي يندثر بسرعة، وكالفخ الذي يؤدي إلى الدمار. وكذلك إن ظلم الأشرار بسبب طرقهم الملتوية الغاصبة، لا بد أن يجرفهم أي يهلكهم، كما تجرف مياه الفيضان كل ما يعترض طريقها. هل تتعظ مستمعي بهذه الأمثال الواضحة فتتجنب السلوك بالطرق الملتوية الشريرة؟ وتكون متمثلاً بالإنسان الزكي الذي يسلك بالاستقامة؟

وتابع سليمان الحكيم الحديث عن الرجل الملتوي فكتب هذا المثل قائلاً: "نفس المنافق تشتهي الشرّ. وقريبه لا يحظى برضاه." وأيضاً هذا المثل: "يتأمل الصديق في بيت الشرير، فيراه يُلقى به إلى البلايا." (أمثال ٢١: ١٠، ١٢) إن نفس الرجل المنافق أو الملتوي تشتهي وتسعى نحو الشر، حتى أن المقربين إليه لا يعودون يثقون به. وأيضاً كلما تأمل الصديق في أحوال الشرير يراه ينحدر نحو المصائب. وهذا يؤكد مرة أخرى أن سلوك الطرق الملتوية ستؤدي بصاحبها إلى الدمار والهلاك.

هل تعلم مستمعي أن العدل والاستقامة تفرّح الرجل المستقيم وتغضب الرجل الشرير؟ كتب سليمان الحكيم قائلاً: "الحكم بالعدل فرحٌ للصديق، ورعبٌ لفاعلي الإثم." (أمثال ٢١: ١٥) بالطبع إن الرجل الملتوي لا يحب العدل وطريق الاستقامة، الذي يكشف حقيقة اعوجاجه ونفاقه.

وتكون النتيجة بحسب قول الحكيم في هذا المثل: "كنزٌ مشتهى وزيت في بيت الحكيم أما الرجل الجاهل فيتلفه." (أمثال ٢١: ٢٠) أي أن الرجل الحكيم يمتلئ بيته بالخيرات بسبب سلوكه المستقيم. بينما يتلف أو يهدر الرجل الجاهل كل ما يأتيه من بركات بسبب طرقه الملتوية.

لكن هل يتعظ الشرير يا ترى بما يحدث معه؟ أجابنا سليمان الحكيم بهذا المثل قائلاً: "الرجل الشرير يُغلظُ أو يوقّح وجهه. أما المستقيم فيعمل على تقويم طريقه." (أمثال ٢١: ٢٩) إن الرجل الشرير لا يأبى إلا أن يستمر في طريقه الملتوية، بينما المستقيم يسعى دائماً لتصحيح سلوكه. أليست هذه حقيقة الإنسان في كل زمان ومكان يا صديقي؟ فهو إن اعتاد على الطرق الملتوية، طرق الكذب والخداع، فمن الصعب عليه أن يتراجع. اللهم إلا إذا تاب ولجأ إلى الله القدير لكي يغفر ذنوبه، ويمنحه القوة لكي يغير سلوكه ويصبح إنساناً مستقيماً.

يتساءل الكثيرون: ما هي أفضل الوسائل للنجاح في الحياة؟ هل تعلم مستمعي أن الثقة بالله والاعتماد عليه هما أساس النجاح في الحياة؟ وهل تدرك أن ذلك سيساعدك كثيراً على سلوك الطرق المستقيمة والابتعاد عن الطرق الملتوية. كتب الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل عن هذا الموضوع قائلاً: "وأما التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة... وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تُغرق الناس في العطب والهلاك. لأن محبة المال أصلٌ لكل

الشرور الذي إذ ابتغاه قومٌ ضلّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة. وأما أنت يا إنسان الله فاهرب من هذا واتبع البرّ والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة." (الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٦:٦، ٩-١١)

يوضح الرسول بولس هنا أن الذين يريدون أن يكونوا أغنياء بواسطة الطرق الملتوية، إنما يسقطون في فخ. ويجرون أنفسهم إلى شهوات كثيرة غبية ومضرة، أي إلى اللجوء لوسائل الغش والخداع والنفاق، والتي ستقودهم حتماً إلى الغرق في بحر العطب والهلاك. وكشف الرسول بولس أن السبب الحقيقي وراء كل هذا، يعود إلى محبة المال والتي هي أصل أو أساس كل الشرور. وأنه إذا سعى البعض إلى المال وبالوسائل الملتوية، فإن ذلك سيبعدهم عن الإيمان الحقيقي بالله، ويطعنون أنفسهم مسببين لها الأوجاع الكثيرة. ولهذا دعا الرسول بولس المؤمن بالمسيح أن يهرب من محبة المال وما يتبعها من نتائج خطيرة عليه. وأن يتبع البرّ والتقوى، أي يسلك بالطرق المستقيمة الشريفة التي يرضى عنها الله، وأن يثبت نفسه على الإيمان، ومنهج المحبة والصبر والوداعة.

هل تود مستمعي أن تكون لك الغلبة والنصرة على محبة المال وما تجرّه عليك من نتائج وخيمة؟ أو لا ترغب أن تحصل قوتك بالوسائل المستقيمة والشريفة؟ وأن تبعد بالتالي عن الوسائل الملتوية المليئة بالخداع والكذب والنفاق؟ إن ذلك ممكن بالتأكيد عندما تأتي تائباً إلى الله ومؤمناً بالمخلص المسيح، الذي وحده يستطيع أن يبدّل حياتك رأساً على عقب، ويعطيك القوة لكي تسلك بالطرق المستقيمة، وتتجنب الطرق الملتوية. وهكذا تنجح في حياتك وتنال بركات الله. فهل تؤمن؟